هذا التطور الذي طرأ على نظرة الحزب السياسية والاجتماعية ، تبلور اكثر فأكثر في الخمسينات . فلقد اشرنا سابقا الى ان موقف البعث من الاستعمار والرجعية عبر القضية الفلسطينية قد تطور تطورا ملحوظا بعد النكبة . فخفتت الاحكام الاخلاقية والعاطفية ، لتنهض مكانها تحليلات سياسية اكثر واقعية وعلمانية . فالاستعمار لم يعد متميزا « بالكره العاطفي للعرب » ، ولم تعد « مصلحته ممتزجة بروح الانتقام من العرب والتشفي » . وخير دليل على ذلك ما جاء في المقال الذي نشرته جريدة « الصحافة » في تشرين الثاني من عام ١٩٥٩ ، بمناسبة ذكرى وعد بلفور . فهي تشير الى ظاهرة طغيان الاحكام الخلقية والعاطفية في اثناء معالجة الامور السياسية . فتقول : « اعتاد العرب في كل سنة ان يتذكروا وعد بلفور ليدللوا على مدى غدر الغرب بهم . والعرب في موقفهم العدائي العاطفي هذا **ينطلقون من نظرة مثالية الى الامور السياسية** . فالاكثرية الشعبية حافظت على بعض **المقاييس الخلقية** كالوفاء والصداقة والتضحية التي وان دلت على سمو فردي واجتماعي تبرز انعدام التقدير الوافي للامور السياسية » .

وينتقد المقال هذه المقاييس والمفاهيم المناقبية ، ويعزو اليها تشويه حقيقة الاتجاهات التي يصارعها الحزب ؛ حيث يقول المقال أن هذه المفاهيم المناقبية « دفعتنا الى اتخاذ مواقف خاطئة كنا اول من دفع ثمنها » . ويدعو الحزب عبر هذا المقال الى أن نلقي « نظرة صريحة وجريئة على سياستنا الماضية وندقق في انهزاماتنا الناتجة قبل كل شيء عن اخطائنا وجهلنا نحن قبل ان تصدر عن « حقد » او « غدر » الآخرين » . وينتقل المقال الى تحليل علمي لوعد بلفور ، فينفي زعم الغرب أن مساندته لانشاء وطن قومي لليهود نابعة من افكار ودوافع انسانية نتيجة تعرض اليهود للتعذيب والاضطهاد في بلاد العالم . ويفند المقال ذلك الادعاء ، قائلا أن وعد بلفور أعطي قبل المجازر التي ذهب ملايين اليهود ضحية لها ، اي قبل وصول النازيين الى الحكم بمدة طويلة . وهنا يبرز التحليل العلمي حين يتحدث المقال عن دوافع انشاء مثل هذا الوطن القومي لليهود ، قائلا : « واذا كان الرأي العام سريع الانفعال ويتأثر احيانا بعوامل خلقية او عاطفية فان السلطات المسؤولة ــ لا سيما في البلدان ذات الانظمة الثابتة ــ لا تتصرف الا على ضوء **مصلحتها ، اي مصلحة الفئات التي تمثلها** . فوعد بلفور وعد مصلحي ككل خطوة تخطوها أية دولة تجاه فئة او دولة أخرى». وتظهر النزعة الى ارجاع وعد بلفور الى المصالح المادية للاستعمار لا الى كره عاطفي نحو العرب ، بتشديد المقال على ان اللورد بلفور تكلم باسم الدولة البريطانية لا باسمه الخاص ، وان كلامه لم يكن صادراً عن حب للصهيونيين او كره للعرب ، بل عن رغبة في كسب الحرب ضد المانيا . ولقد اعتبر الحزب ان وعد بلفور جاء نتيجة مساومة بين الحكومة البريطانية والمنظمات الصهيونية لقاء تعاون الطرف الاخير في دفع اميركا الى الحرب . فبريطانيا ، وهي ابرع الدول في التجارة السياسية ، قدمت هذا الوعد على اساس تقديرها لما قد تجنيه من ارباح . فاعتبرت ان مصلحتها هي مع الحركة الصهيونية لا مع العرب ، بالرغم من تعاون الشريف حسين معها ضد العثمانيين .

فلا خيبة هنا اذاولا عتاب، ولكن تحليل سياسي عقلاني لارتباط مصالح الاستعمار بالوجود الصهيوني . ويرى الحزب ، في المقال نفسه ، ان الولايات المتحدة الاميركية اتمت الصفقة ــ حين استلمت زمام القيادة من بريطانيا ــ لاعتبارات مصلحية ، منها الداخلية ــ اذ كان ترومان على ابواب معركة انتخابية ــ ومنها الخارجية التي تتعلق بتخطيط الدول